

دلائل الإعجاز

الصاحبُ : لو لم يُعِدِّدْ أربعَ مراتٍ فقال : .

(بجهلٍ كجهلِ السيفِ وهو مُنتَضَى ... وحلمٍ كحلمِ السيفِ وهو مغمدٌ) .

لفسدِ البيتِ .

والأمرُ كما قال الصاحبُ . والسببُ في ذلك أنك إذا حَدَّثْتَ عن اسمٍ مضافٍ ثم أردتَ

أن تذكرَ المضافَ إليه فإن البلاغةَ تقتضي أن تذكره باسمه الظاهر ولا تُضمِّرُهُ .

وتفسيرُ هذا أن الذي هو الحَسَنُ الجميلُ أن تقولَ : " جاءني غلامٌ زيدٌ وزيدٌ " ويقبحُ

أن تقولَ : " جاءني غلامٌ زيدٌ وهو " . ومن الشاهد في ذلك قول دِعْبِلِ - البسيط - : .

(أضيفُ عمرانَ في خِصْبٍ وفي سَعَةِ ... وفي حِباءٍ غيرِ مَمْنوعِ) .

(وضيفُ عمروٍ وعمروٌ يسهرانِ معاً ... عمروٌ وليدِ طَنْتِهِ والضيفُ للجوعِ) .

وقولُ الآخرِ - الطويل - : .

(وإن طُرِّسَتْ راقَتُكَ فانظُرْ فربَّما ... أمرٌ مذاقُ العودِ والعودُ أخضرٌ) .

وقولُ المتنبي - الطويل - : .

(بمن نَضَّرِبُ الأمثالَ أم مَن نَقِيسُهُ ... إليك وأهلُ الدهرِ دونَكَ والدهرُ

) .

ليس بخفيٍّ على مَن لَه ذوقٌ أنه لو أتى موضعُ الظاهر في ذلك كَلَّه بالضميرِ فقيل :

وضيفُ عمروٍ وهو يسهرانِ معاً وربما أمرٌ - مذاقُ العودِ وهو أخضرٌ وأهلُ الدهرِ دونَكَ -

وهو لعدمِ حسنٍ ومزيةٍ لا خفاءَ بأمرِهما . ليس لأن الشعرَ يَنذِرُ كَسْرَهُ ولكن تنكرهُ النفسُ

. وقد يرى في بادئِ الرأي أن ذلك من أجْلِ اللَّبَسِ وأنك إذا قلتَ : جاءني غلامٌ زيدٌ

وهو كان الذي يقع في نفسِ السامعِ أن الضميرَ للغلامِ وأنَّكَ على أن تجيءَ له بخبرِ

إلا أنه لا